السلطة الكرزماتيكية عند ماكس فيبر

(السيد المسيح وأتباعه أنموذجاً)

بحث/ للمدرس الدكتور

جعفر نجم نصر

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

قسم الانثروبولوجيا التطبيقية

٢٠٠٩

المقدمة

لقد كان ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠) وما زال يعد ابرز علماء الاجتماع، وذلك بوصفه احد المؤسسين المحدثين له عبر طروحاته الاجتماعية التي غطت أو شملت ميادين معرفية عدة؛ ففي معرض بحثه عن تفسيرات سوسيولوجية لعملية التغير الاجتماعي وجد ضالته في أنواع السلطات الثلاث (التقليدية، الكرزماتيكية، العقلانية) التي اجترحها عبر أداته المنهجية التي تميز بها "النموذج المثالي"، تلك السلطات بأنواعها جعلته يعيد تفسير حركة المجتمع وتنظيماته المتنوعة، وذلك لاعتقاده الجازم بان علم الاجتماع هو علم تفسري.

وهذا لا يقف بالنسبة لديه عند حدود السلطات الثلاث فحسب، بل ينطلق أصلا من نظريته أو بالأحرى تغيراته للفعل الاجتماعي.

ومدار اهتمام الباحث بالنسبة لطروحات فيبر هو السلطة الكرزماتيكية التي تقترن بخصائص او صفات فوق طبيعية- فوق إنسانية، حاول بموجبها فيبر تفسير قطاع مهم من تاريخ السلطات الاجتماعية والتي هيمنت على الذاكرة الإنسانية بشتى قطاعاتها على مدى قرون من الزمن عبر شتى عناوينها، لا سيما العنوان الديني خصوصا، والمتجلي بالنسبة لفيبر بأبرز مرتكزاته (النبي).

ولقد كان أنموذج بحثنا السيد المسيح وأتباعه، حيث تم التركيز على ابرز المفاصل التاريخية في نبوته وتحليلات فيبر لأبرز مركباتها وأبعادها، وذلك بعد ما مهد الباحث لذلك كله بأفكار رئيسية حاول من خلالها الكشف عن جذور الكاريزما وصلاتها وتحولاتها؛ وعلى العموم إن المباحث الخمسة لهذا البحث ستحاول جاهدة تغطية هذه الموضوعات برمتها.

المبحث الاول
مقدمة في الصلات المفاهيمية (للكرزما)

ان تحديد مدخل نظري يسهل عملية الولوج الى كنه الكاريزما، يستدعي التعامل مع كل الصلات اللغوية التي يمكن ان تجمع بين مفهوم الكاريزما والمفاهيم الاخرى المقاربة له، والتي تعتمد على ركيزة اساسية ومهمة، وهي اشارتها الى المضامين الجوهرية التي تكتنف تلك المفاهيم بالاعتماد على مظاهرها (الفوق طبيعية) او (الخارقة للعادة) على ارض الواقع، فالكاريزما تدل على معاني كثيرة منها "سحر الشخصية" او "الشخصية الملهمة او الساحرة" او "الشخصية الآسرة" او "الجاذبية والفتنة والسحر في شخصية القائد تدفع الجماهير لتقديسه" او "المهابة" او "الاعطية الكونية" [١].

فلهذا عمد الباحث الى الوقوف على اشكال لهذه الصلات المحتملة وبالاستناد الى اللغة كقاعدة اساسية لا يستغنى عنها، لطرح تلك الصلات المفاهيمية ذات التشابك اللغوي والمتضمنة نفس المعاني والدلالات.

ووفقا لما تقدم، نجد ان في اللغة العربية مفردة تكاد ان تكون قريبة من معاني مفهوم الكاريزما وتتداخل مع تجلياته، وهي مفردة **الكرامة** والكرامة بلغة العرب وبالاصل الدقيق من، مصدر (كرم) (بفتح الكاف وضم الراء)، ولكنها بالاستعمال اسم معناه يشبه الاكرام والتكريم بين انسانا ما هو كريم بالنسبة الى أي شخص، ويقول ابن منظور: كرم يعني الكريم: وهي من صفات الله واسماءه، والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد، والكرم بنظره نقيض اللؤوم يكون في الرجل بنفسه، والاسم منه: الكرامة، وقال الليحاني: افعل ذلك وكرامة لك... ويقال نَعْم وحباً وكرامة... والكرامة: اسم يوضع للاكرام، كما وضعت الطاعة موضع الطاعة، والغارة موضع الأغارة[٢].

وهكذا اصبح لمن لديه حظوة عند الله تعالى وانه محمي ومكرم من قبله عز وجل، انه لديه كرامة، وكانما هي صيغة مبالغة لتصف الكرم الالهي الذي اختص بفردا معين دون سواه، وذلك لاعتبارات عقائدية وطقوسية اداها على اكمل وجه، فاصبحت لديه هذه الكرامة من الله تعالى، وهذا ما ذهب اليه متصوفة الاسلام والمسيحية على حدا سواء.

فلقد اشار محي الين اين العربي والذي يعد احد اكابر متصوفة الاسلام، الى ان الكرامة يمنحها الله لمن يشاء ممن يمارسون الفضيلة جزاءٍ وقتياً عنها، ولكنه في كثير الاحيان يمنحها ايضا لمن لا يمارس الفضيلة الا على نحو ناقص، وفي مثل هذه الاحوال فان الكرامة بدلا من ان تكون جزءا وفضلا يمنح للنفس، فانها تتحول الى محنة وابتلاء يبتلي الله بها العبد ليعرف صدقه في احتقار شؤون هذه الدنيا، ورسوخ تواضعه، والاستقامة الخلقية، واداء اوامر الله [٣].

هذا ولقد اتفق القول في الفكر الصوفي على توافق التصوف والكرامة، اذ لا تصوف من غير القول بالكرامة، لان الامر عبارة عن تحول من عالم يتحكم فيه العقل ومقولاته، والاسباب وما يلزم عنها الى عالم لايعرف التقييد،... فحصول الكرامة يعد نتيجة لمعرفة الصوفي الله والقرب منه والوصول اليه والتفرد به حتى تنكشف عن الصوفي، وهو في مرتبة العرفان الحجب فيشهد من علم الله ما لم يشهده غيره، وعندئذ تتحقق الكرامة عنده [٤].

---

(١) دين كيث سايمنتن، العبقرية والابداع والقيادة، ت: شاكر عبدالحميد، عالم المعرفة، ع١٧٦، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، ١٩٩٣، ص١٧٥-١٨٠.

(٢) جمال الدين ابو الفضل ابن منظور، لسان العرب المحيط، المجلد الثالث، دار لسان العرب بيروت، د.ت، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٣) اسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ت: د. عبد الرحمن بدوي، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٥، ص٢٠٥.

(٤) د. نظلة احمد الجبوري، خصائص التجربة الصوفية في الاسلام، دراسة ونقد، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠١، ص٣٨٩-٣٩٠.

ولقد ميز ابن العربي بين نوعين اساسيين للكرامة، الكرامات الظاهرة،والكرامات الباطنة، فالكرامات الظاهرة او المادية هي التي تشاهد او تتأيد من حيث كونها ظواهر فيزيائية او موضوعية، تظهر خارج الشخص ويمكن ادراكها بالحواس الظاهرة للمشاهد، ومثالها كرامات: المشي على الماء، والمشي في الهواء، وتحويل المادة، وابراز قوى جسمانية هائلة،الخ، والكرامات الباطنة والروحية هي تلك التي تتحقق في نفس الصوفي او غيره، وتبعا لذلك فان حقيقتها لا يمكن ان تعرف وتتأيد الا في الحالة التي يظهرها صاحبها ويذيعها، ومن هذا النوع الكشف على اسرار العالم المادي والنفسي والالهي، مما يتلقاه بعض الصوفية بتوفيق من الله في احوال الوجد والجذبة، والى هذا النوع الثاني من الكرامات الروحية الطابع، يرد ابن عربي بعض المواهب الخارقة، التي يسميها اللاهوتيين النصارى باسم (صانعات اللطف) "Facientes gratiam" [١].

وما دام ان الكاريزما تعني حسب تعريف فيبر لها، بانها: صفة شاذة لشخص يظهر مقدرة فوق طبيعية، فوق بشرية او على الاقل غير مألوفة بحيث يبدو وكأنه كائن سماوي، مثالي، او استثنائي، ولهذا السبب يجمع حوله اتباعا او انصارا [٢] فاننا نجد تقارب كبير بين الاصطلاحين، ما دام ان كلتيهما استمدا كينونتهما من قوى فوق طبيعية، يمارسان دوريهما على ارض الواقع على اكتاف حملتهما، بوسائل واساليب غير متعارف عليها سوسيولوجيا، معبأة بتحركات وتفاعلات فوق الطبيعة البشرية، فلهذا نجد ان بينها صلة كبيرة جدا، الا ان الفارق الذي تعزز بينهما على ارض الواقع وساقه ونساق خلفه المنظرين السوسيولوجيين والدينيين، هو ان الكرامات تخص الشخصيات الدينية فحسب دون سواها، وذلك لكونها في اغلب الاحيان تمارس انشطتها داخل المجتمعات الدينية، ولا سيما الصوفية منها على وجه الخصوص، واذا ظهرت للعامة توصم بالكفر والزندقة في اغلب الاحيان، وذلك الوصم المأدلج تسوقه السلطتين الدينية والدنيوية (الفقهاء والحكام)، اما الكاريزما فقد سحبت الى الاوساط والادبيات السياسية، وعدت اصطلاحا ملائما لبعض الحكام، وان كان فيبر انطلق اصلا من قاعدة دينية في تأصيل هذا المصطلح، مستنداً على الفيلسوف الألماني رودولف سوم الذي استقاه من الحياة الروحية للنظام الكنسي المسيحي.

الا ان المجتمع الغربي الذي نشئ فيه هذا الاصطلاح تحول وحسب راي فيبر من السيطرة او السلطة الكرزماتيكية، والتي هي اصل السلطات السياسية الاخرى، تحول الى شكل الدولة الحديثة التي تعتمد على البيروقراطية (الادارة الديوانية)، تلك الدولة التي ولدت من رحم الكاريزما، غدا فيها المؤسس حجر الزاوية للمجتمع بكل تشكيلاته، على انقاض تركة التمؤسس ايا كان [٣].

وعودا على بدء، وتعزيزا لما تقدم يرى المستشرق الاسباني المعروف آسين بلاثيوس: ان كلمة (كرامة) العربية ذات علاقة وثيقة جدا من الناحية المعنوية بالكلمة اليونانية اللاتينية "Chrisma" التي ادخلها القديس بولس (الرسالة الاولى الى اهل كورنيثيوس: اصحاح ١٢، جملة ٩)، للدلالة على المواهب والافضال الاستثنائية وفوق المعتادة التي يشرف بها الله على النفوس المختارة، والكلمة العربية (كرامة) حسب رايه من ناحية الاشتقاق مرادفة لكلمة موهبة، عطية فضل يمنح (تكريما) للشخص [٤].

ومن ناحية اخرى، يتفق كثير من الصوفية على ان هناك فرق بين الكرامة والمعجزة، فابن عربي مثلا يرى، ان الفرق بين الكرامة والمعجزة يكمن في ان الكرامة تصدر عن قوة همة العبد

(١) اسين بلاثيوس، مصدر سابق، ص١٩٤.

(٢) جوليان فروند، سوسيولوجيا ماكس فيبر، مركز الانماء القومي، بيروت، ص١١٣، د.ت.

(٣) ينظر للاستزادة في التفاصيل: كتاب سوسيولوجيا الدولة، لبرتران بادي وبيار بيرنبوم، مركز الانماء القومي، بيروت، د.ت،من ص١٦ الى ص٢٢.

(٤) آسين بلاثيوس، مصدر سابق، ص١٩٣.

وعلى علم منه، على حين ان المعجزة لا نصيب الهمة النبي فيها، فهو (النبي) العبد المحض الكامل العبودية، ولا يتدخل النبي مطلقا في منشا المعجزة ولا علم له بها [١]، مقابل ذلك فان صاحب الكرامة انما منح اياها بعد مجاهدة ورياضة روحية وسير في الطريق الصوفي وهو عالما بها متوقعا لها (اذ صح التعبير) يستدعيها بأي زماناً ومكاناً لأمضاء مشيئة ما واثبات برهانا ما، خلافا للمعجزة والتي هي برايه منحة الهية وقتية للنبي، وليس هو منشا لها، ولا علم لديه لها ولعلها هي دائما مقرونة باظهار صدق النبوة، وهذا المعنى يؤكد عليه الجرجاني في تعريفاته، فيقول: ان المعجزة امر خارق للعادة داعية الى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة يقصد به اظهار صدق من ادعى انه رسول من الله [٢].

وعلى السياق نفسه، اكد فيبر على ان المعجزات هي بمثابة ادوات تدعم كاريزما النبوة، فلقد اوضح ذلك بقوله: ان شرعية السلطة الملهمة (الكاريزمية) تعتمد من الناحية العملية على بعض البراهين الدامغة او المقبولة، وعلى بعض الاعمال السحرية او الخارقة للعادة [٣]، ولكن الشئ الذي ينبغي الاشارة اليه هو ان فيبر يؤكد دائما على عملية الدمج بين الكاريزما والمعجزة بالنسبة للنبي ولعله محق في ذلك اذ ان دعوة الانسان ما انه مرسل من السماء ومؤيد من قوة فوق طبيعية، يستدعي اظهار مصداقيته عبر امتلاك تلك الكاريزما، وهذا لا يتم الا عبر المعجزات التي يقوم بها الانبياء امام الجماهير لكسب الاتباع ودحض اراء المكذبين.

وما دام ان الكاريزما التقت كما ذكرنا انفاً على كونهما مصطلحين يراد بهما التعبير عن السلوك او الفعل الخارق للعادة ولما ألفه الناس في حياتهم اليومية، نجد ان الكاريزما على صعيدا اخر، تقترب من معاني مفردة (البركة) التي يرد ذكرها في المرويات والادبيات الاسلامية، والتي تشير في معانيها الى التكثير والتوسيع في الاشياء المادية والمعنوية، فضلا عن كونها تشير الى الديمومة والاستقرار في ادائها لعملها بالنسبة لاي شئ تحيطه عناية ورعاية، اذ ان والبركة في اللغة تعني: النماء والزيادة، ويقال تبركت به أي تيمنت به، وروى ابن عباس عن معنى البركة فقال: البركة الكثرة من كل خير، وتبارك بالشئ: تفأل به [٤].

والبركة هي عبارة عن نوع من القوى السحرية الخفية التي ألتجا اليها البدائيين، فهي المانا عند اهل ماليزيا، او هي اورينـدا "Orenda" او واكان "Wakan" او مانتيا "Mantia" عند هنود امريكا الشمالية، هي التي يقال لها في شمال افريقية بين الحاميين والبربر (البركة) هي برأيهم القوة التي تمكن الانسان من توافر السيطرة،... ولا يمكن تفسيرها، ولا يمكن اثباتها باسانيد، ولكنها تؤثر في اعمال كل يوم بالنسبة للفرد، ومن ثم ارتبطت ببعض الاعتقادات التي اعطتها جانبا في القداسة وصارت لها طقوس يجب ان تصحبها [٥]، فلهذا نجد انه اذا ما تضاعفت ماشية الرجل او زاد محصول مزرته فليس هذه لانه دؤوب على العمل، ولا لانه يعني بارضه، فكل فرد يعرف ان (اليام) (البطاطا) ينبت بعد ان تغيب البذور ببطن الارض، ولكن المحصول لا يتوافر بكثرة مذهلة الا اذا توافرت (مانا) [٦].

---

(١) د. سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، الناشر دندرة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨١، ص٩٦٤.

(٢) ابو الحسن علي بن محمد علي الجرجاني، التعريفات، طبع دار الشؤون الثقافية، بغداد ط١٩٧٦،١، ص١٢١.

(٣) براين تيرنر، علم الاجتماع والاسلام، دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر، ت: د. ابو بكر احمد باقادر، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص٤٤-٤٥.

(٤) ابن منظور، مصدر سابق، المجلد الاول، ص٢٠٠٠-٢٠٠١.

(٥) العميد عبد الفتاح ابراهيم، الثقافات الافريقية، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٥، ص١١٩.

(٦) المصدر السابق، ص١١٨-١١٩.

ويعتمد فيبر على الطروحات الانثروبولوجية ذات المصادر الاثنوغرافية في هذا المجال ليعطينا صورة تحليلية تحمل في معانيها استدماجا لقضية (البركة) مع الكاريزما، والتي يجدها تظهر باشكال متعددة فنجده يقول: ان الرجل البدائي يدرك كافة المؤثرات الخارجية التي تشكل حياته الخاصة، بوصفها افعال قوة خاصة متلازمة في الاشياء والرجال، وانها تحيى وتموت، كما وتعطيهم القوة لفعل ما هو طيب، وايضا ما هو مؤذي، وكافة الادوات المفهوماتية للقبائل متضمنة الطبيعة والحيوانات الخرافية في خيالاتهم وقصصهم، انما هي منبثقة من هذه الافتراضات، وان مفاهيم المانا "Mana" والاوراندا "Oranda" وما شابهها يمنحنا اياه المعنى الاثنوغرافي، بانها تشير الى قوى معينة تتمتع بخاصية فوق الطبيعية، انما ناشئة عن حقيقة انها ليست خاصة باي شخص، وانما هي مرتبطة مع بعض الحاملين لها المحددين من الاشخاص او الاشياء والصفات السحرية والبطولية لا تعني شيئا وانما هي تخص حالات مهمة لقوى محددة عادية انما تخلق معتقدات كارزمية، والتي هي ثانية وتباعا تصنف مرة اخرى من خلال مجرى الحياة اليومية [١].

فتلك البركة جاءت جراء اجواء كرزماتيكية أرتبطت بأنسان معين او حيوان معين او حادث جماعي او بمظاهر طبيعية معينة، قادت في نهاية الامر لاعتبار تلك البقعة (مثال لا للحصر) دون سواها مباركة لا ينبغي تدنيسها، والذي يقودنا الى قضية التما هي مع الاجواء الخارقة للطبيعة والذي ولد تلك المشاعر الكبرى للتقديس، ومن ثم اعتبار كل ما يمت تلك البقعة مقدسا، هو ذلك التماهي الذي كان لا يمكن له الحدوث الا بوجود تعاليم (من نوع معين) مسبقة تؤكد على هذا التماهي، او بوجود اساطير او خرافات متوارثة تدعو للتماهي مع الاجواء الكرزماتيكية، او التي نجحت جراء عملية الانبهار والدهشة بذلك الجو الاعجازي، او ربما تكون كل هذه الاساليب مجتمعة، والذي يتولد عن ذلك التماهي في لحظاته الاولى، اعتبار زمان ومكان ذلك التماهي مقدساً- مباركا، وبالتالي تأسيس معتقدات على ذلك التماهي هذا ليترتب عليها فيما بعد طقوس دينية معينة، تنسجم واشكال الاحداث الكارزماتيكية التي جرت انذاك، أي تعتمد تلك الطقوس الى اعادة توليد وبعث الحدث في الحياة مرة اخرى، وهذا لاجل استشعار تلك الطاقة الكرزماتيكية التي انتشرت في تلك البقعة انذاك، والمحافظة على ديمومة ذلك الاستشعار لا يتم الا عبر هذه الطقوس الدينية المستمرة، فضلا عن المحافظة على قدسية ذلك الحدث وبركاته من أي تدنيس ينجم جراء تغير الاجيال والثقافات وانواع الاحتكاكات الحضارية وتكمن اهمية المحافظة على (البركة) من التدنيس في مسائل متعددة، على راسها المسائل الاقتصادية، فيقول وستر مارك "Wester Marck" في ذلك:

فاذا ما توافرت البركة دون ان تتلوث او وان تدنس، توافر المحصول حتى زاد وفاض وكثر النسل وا خصبت النساء وعم البلاد الرخاء، اما اذا قلت البركة حدث الجدب، وعمت المجاعة، وتساقط الثمار عن الشجر قبل ان تنضج [٢]، ولقد اقترنت هذه البركة لدى وستر مارك مع الولي الصوفي والذي يقابل لديه القديس (Saint) فبركة الولي برأيه، كعدوى مقدسة صالحة للانتقال لاي غرض او لاي مكان... ويمكن ان تتوافر في بئر او نبع ماء او اشجار او صخور او كهوف، ومن ثم فانها تعتبر محرمة على الافراد لا يستخدمونها حتى لا يقللوا قدسيتها، ولا يستخدمونها الا بتوجيه صاحب البركة، ولهذا يترك الجزء الباقي من المحصول المبارك يترك في الحقل لا يلمسه احد حتى تنتقل البركة الى المحصول الذي يولد من جديد من (عروس الحقل) في الموسم القدم [٣].

(1) Max Weber; economy and society, universe of California press ltd, London, 1978, pp. 1133. 1134.

(2) Edard Alexander wester marck, Ritual and Belief in morocco, new York 1968, vol, 1, P.39.

(3) Ibid, P. 106.

ويفسر ويستر مارك مديات البركة في قضية النسب كذلك، أي في كل من يدعي انتسابه الى النبي او ولي معين يستمد منه البركة عبر التوارث الدموي، فلهذا فهو يجد ان من يمتلك درجة غير عادية يطلق عليه قديسا او سيداً، وخلفه ومن ينتسب اليه يدعون اشارفاً، فلقد أشار الى ان عدد الاشراف في المغرب كان كبيرا جدا وهم يتكاثرون في المدن الصغيرة وبين عرب الجبال في الشمال من مراكش، ولكن الاشراف برأيه يتواجدون كذلك بين القبائل الناطقة باللغة البربرية، وقد يكون هؤلاء الاشراف منحدرون من مهاجرين ينتمون الى عوائل نبيلة دينية من بين الفاتحين العرب، واستقروا هنالك... وقد ينحدرون لعوائل بربرية أصلية، والذين كان ادعائهم بأنهم الاشراف من ذوي الصلة القرابية بالنبي من نسج الخيال[1].

وعلى أي حال مسالة الطعن بالانساب ليست شغلنا وقضيتنا في هذا البحث ولكن يستفاد من تلك المديات التي استوعبتها البركة والتي كيفت نفسها سوسيولوجيا في عقول العامة للانتقال الى الانساب لتعمل عليها، وكان البركة هنا عملية اعادة توارث للنبي وللولي بصيغة التوارث (بركة او قدسية الجسد)، ولعل المسألة تعتمد على اسقاط الانجاز الفردي ليستعاض بالدماء الكرزمية عنها لاجل توفير اسباب العيش الاقتصادي والمنزلة الاجتماعية في الوقت نفسه، وتحتج في الوقت نفسه على كافة الانساب الاخرى بنسبها الكرزمي، وتسقط عليها تلك المظلة الدينية المتوارثة، فتغدو"الدماء النسبية" قياسا باصحاب الدماء الكرزمية مهمشة سوسيولوجياً، ويغدو المجتمع في قبضة الوريث الكرزمي دون سواه.

وهكذا بشكل عام نجد ان هنالك نوعا من الالتقاء بين الكاريزما وصفاتها والبركة وتجلياتها فكلتهما ينطلقان من مرجعية فوق طبيعية فوق بشرية، تقفز فوق الواقع الاجتماعي بدعواها لتعيد تاسيسه فوق بناءات سوسيولوجية تعبر الواقع بتصوراتها وغاياتها، أي تكون صاحبة تعبيرات فكرية- عقائدية- شعورية في الوقت نفسه، وتعود لترسم على الواقع طقوسها الدينية او توظيفاتها السياسية او الاثنين معاً.

المبحث الثاني

جذور مفهوم الكاريزما عند فيبر/ من الاقتباس الى التأصيل

من الواضح ان هناك شبه أجماع على ان أول استخدام لمفردة "Charisma" انما جاء بلسان القديس بولس احد اتباع السيد المسيح (عليه السلام) في رسالته الى اهل كورنثيوس، اذ ذهبت انسكلوبيديا الدين الى القول: ان بولس تحدث عن الهبات الروحية "Spirtual Gifts" او الكرزما "Charisma" بعدها تجليات لروح الله مختلفة منها: الاقوال الحكمية، المعرفة الخاصة، المعالجات، المعجزات "Miracles" والارواح المتميزة، والايمان، وترجع وجود الكرزماتيكية الى ذات الروح

(1) Ibid,k P. 39.

المقدسة والتي قامت بتوزيعها على كل انسان وحسب ما تراه مناسبا، ولقد اكد بولس وبشكلا دائم على ان الحب اعظم هبة للانسان [١].

والمقطع الذي اشار فيه (القديس بولس) الى الهبات الروحية او الكرزما هو ما ياتي: "ان كنت اتكلم بالسنة الناس والملائكة، ولكن ليس لي محبة، فقد صرت نحاسا يطن او او صنجا يرن، وان كانت لي نبوة واعلم جميع الاسرار وكل علم، وان كان لي كل الايمان حتى انقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئا. وان اعطيت كل اموالي وان سلمت جسدي حتى احترق، ولكن ليس لي محبة فلا انتفع شيئا [٢].

واعتقد ان مفردة "نبوة" هي في الاصل المفردة اللاتينية "Chrisma"، ولكن ترجمت الى العربية على هذا النحو، ولقد اشارت بعض المصادر الى هذه الحقيقة، عندما تحدثت عن اصل كلمة "Charisma" وهو اصل اللاتيني [٣]، ومن المعروف ان اول نص للكتاب المقدس "العهد القديم والعهد الجديد" انما وضع باللغة اللاتينية، فلهذا نجد ان المقصود بكلمة "نبوة" انما هي اشارة واضحة للملكات والقدرات الروحانية العالية التي تقارب طاقات وقدرات صاحب "النبوة" لا سيما السيد المسيح (عليه السلام).

ولقد اشار بعض الباحثين الى نفس القول ولكن بصيغة مقتضبة، فنجدهم يقولون ان الكلمة أي "Charisma" من اصل يوناني "Kharismata"، وتعني الموهبة، واستخدمها المسيحيون الاوائل للدلالة على المواهب التي يختص بها الله افراد معينين، وان الكلمة قد انتقلت الى الفلاسفة اللاهوتيين المسيحيين [٤]، والبعض الاخر يقول: ان هذا المصطلح يشير عند الاغريق الى النعمة الالهية، او يشير الى خاصية خارقة تتميز بها شخصية فرد معين، تجعل صاحبها كانه يمتلك قدرات ومواهب، تفوق ما هو انساني، وما هو طبيعي، ولهذا فان المصطلح في نطاق الادب يستخدم للاشارة الى الهبة الالهية "Gift of Grace" [٥].

وعلى صعيد اخر اختلفت بعض تالباحثين حول اول من استخدم مصطلح "Charisma" استخداما اكاديميا، فقال بعظهم انه ارنست ترولتش (Ernst troeltsch)[*][٦] وقال الاخرون انه "Max Weber"[٧].

ونعتقد انه من الصعوبة تحديد اول مستخدما للمصطلح كأستخداما اكاديمياً، الا انه من الواضح عند الرجوع الى الادبيات الانكليزية، نجد ان الترجيح قائم بين ارنست ترولش و رودولف سوم "Rudolf Sohm" وذلك لكونها كتابا عن التنظيم الاجتماعي للكنيسة المسيحية المبكرة، ومن المعلوم ان الحديث عن الكنيسة المسيحية المبكرة يستدعي الحديث ولو بشكلا عام عن موضوع "هبات القديس" أي عن ملكاتهم الخارقة للطبيعة.

---

(1) The Encyclopedia of religion, micreaeliade, editor in chief, volume 3, macmill An pupples, copyright, 1987, P. 218.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد، الرسالة الاولى الى اهل كورنثيوس، ا صحاح (١٢).

(٣) برتران بادي، بياربير نوم: سوسيولوجيا الدولة، ت: جورج ابي صالح، مركز لانماء القومي، بيروت، د.ت. ص١٧.

(٤) د. ابراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة العامة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص٤٨٠.

(٥) د. عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص٥٤.

(*) هو فيلسوف الماني اشتهر بكتابه ذائع الصيت الموسوم "The social Teaching of the Christian churches"

(٦) د. عبد الهادي الجوهري، المصدر السابق نفسه، ص٥٤.

(٧) د. ابراهيم مدكور، المصدر السابق، ص٤٨٠.

ويميل الباحث الى الاعتقاد بان رودولف سوم، قد كان مرجعا رئيسيا لماكس فيبر في استخدام وتطوير مصطلح "Charisma" ومرجع هذا الاعتقاد يستند الى رأيين مهمين، الراي الاول يعود الى: رينهارد بيندكس "Reinhard Bendix" والذي اشار وبشكل ضمني في محتويات تعليقاته على اعمال فيبر، اشار الى ان فيبر اعتمد بشكل متكرر على تحليل القيادة الكارزمية وتنظيم الكنيسة المسيحية المبكرة "لرودولف سوم" "Rudolf Sohm" والذي كان تحليله صورة تاريخية محددة ومقارنة للقيادة الدينية، وبهذا فقد امن القاعدة التي صيغت عليها الصفة الاصطلاحية للكاريزما عند فيبر(١).

اما الراي الثاني فقد ورد في قاموس العلوم الاجتماعية، اذ بعد ان يعرف القاموس مصطلح "Charisma"، بانه مصطلح استخدم في اللاهوت ليعني موهبة او منحة سماوية " Diving Grace" ثم يعرج ليقول انهُ مصطلح دخل علم الاجتماع عندما استخدمه فيبر في كتاباته والذي هو قد استعاره من(٢) "Rudolth Sohm".

وهكذا يتضح لنا ان ماكس فيبر لم يكن مبتكرا للتوظيف والاستخدام الاكاديمي لمصطلح "Charisma" بل انه قد استعاره، وقدمه بصورة جديدة ذات افاق استخدامية عالية المستوى ضمن ما يسمى "النموذج المثالي" وجعله كسلطة ثالثة بجانب السلطة العقلانية او القانونية والسلطة التقليدية.

ومن ناحية اخرى نجد ان المسألة لا تقف عند حد ان فيبر قد استعار مفهوم الكاريزما من "سوم"، بل ان المسألة هي ابعد من ذلك، فمن المعلوم ان مفكر مثل فيبر انما هو يستند على نظريات ورؤى تصويرية معينة على عدة باحثين، ومن ثم يستخلص منهم ما يحتاج اليه او ما يرى ضرورة التوسع به وتأصيله سوسيولوجيا.

ولهذا نعتقد ان فيبر قد تاثر بطروحات كل من الفيلسوف الانكليزي توماس كارلايل "Thomas Carlyle" والفيلسوف الالماني هيجل "Hegel"، فلقد طرح كارلايل في كتابه ذات الصيت "الابطال وعبادة البطولة "Heros and hero" "worship" نظريته حول الرجل العظيم، والتي تلتقي في كثير من جوانبها مع مصطلح الكرزما والتي تخص الانسان صاحب المواهب والقدرات الخارقة، ساحر الجماهيروقائدها، أذ يعتقد الاستاذ الكعبي ان هذا الكاتب (كارلايل) قد تقزز نافراً من التحلل والتفسخ الذي رافق الثورة الصناعية، وكان يائسا من قابلية الانسان الاعتيادي، لان يحكم بحكمة وتعقل، ومن هذا فقد اشاد وبالغ في فضائل المستبد الفاضل Despot "renevolent" الذي يتمثل في شخصية البطل، ونظر اليه كمنقذ وقائد للقوى الاجتماعية الواسعة(٣).

فلقد اعتبر (كارلايل) التاريخ الشامل العام وكل تاريخ ما انجزه الانسان في اعماقه ما هو الا تاريخ الرجال العظماء الذين صنعوا التاريخ نفسه، فهم القادة والزعماء وهم الخالقون المبدعون، فكل ما يتمتع به المجتمع اليوم من انجازات ومكتسبات، ماثلة امام ابصارنا ما هي الا النتيجة المادية الخارجية بل وانه الانجاز العلمي للافكار التي استقرت في العظماء، الذين ارسلوا الى هذا العالم، فهم روح التاريخ العالمي كله، ذلك التاريخ الذي يعتبر بحق تاريخهم الشخصي(٤).

وقد اختار (كارلايل) ستة انواع من الابطال غرضه فيها ان يجمع الخصائص المشتركة ليلقي ضوءا على تاريخ العالم وهي:

---

(1) Reinhard Bendix, Max weber an intellectual portrail, London, 1962, PP. 325- 326.

(2) A dictionary of the social sciences, Julius cold, William LKolb copyright. 1964, by the united nations Educational, P.84.

(٣) د. حاتم الكعبي، السلوك الجمعي، طبع جامعة بغداد، د. ت، ص٨٤.

(٤) توماس كارلايل، الابطال، ت.محمد السباعي، طبع دار الرائد العربي، بيروت، ط٤، ١٩٨٤، ص١٤-٢٨.

١. البطل كأله، ٢. البطل كنبي، ٣.البطل كشاعر، ٤. البطل كقس، ٥. البطل كأديب، ٦. البطل كملك.

اما هيجل فقد طرح فكرة "الرجل العظيم" كذلك، والذي يعتقد بانه هو المفكر العلمي الذي يتميز بالتبصر والمتغلغل في جوهر المستقبل، له من المعرفة ما يساعده على اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق الروح المطلقة ولما كانت الروح في درجة اللاوعي او للاشعور في اغلب الناس، فالرجل العظيم هو القادر على اظهارها الى حيز الواقع ليحقق في النهاية الهدف الاسمى، ويستطيع الرجل العظيم حسب رأيه ان يحطم التقاليد المرعبة المتميزة بالقدسية، وان يغير الشعور الخلقي وان يغترف بعض الجرائم بضمان تطور الروح، ولهذا لا يصح الحكم برايه على اعمال الرجل العظيم بالقيم الاجتماعية وبالمقاييس التقليدية، مؤكدا في الوقت ذاته على ان الرجل العظيم ما هو الا وسيلة للتعبير عن روح العصر، وهو يمارس دوره هذا بكونه أله تستخدمها الروح المطلقة[١].

فمن معين هذه الافكار بنى فيبر مقتبسه من "سوم" ليقدم لنا صورة نموذجية عن السلطة الكرزماتيكية، والتي رأي فيبر أنموذجا يمكن ان ينطوي تحته العديد من الشخصيات الدينية (كالنبي والكهنوتي، والقديس، او حتى شخصية الحواري) فضلا عن تطابقها كذلك مع شخصية الساحر بمعنى من المعاني، وكأنما اراد فيبر عبر هذه السلطة ان يغطي زوايا في التاريخ لم يولها الاخرين أية أهمية، وعلى الاقل في عصره بالذات الذي بلغت فيه المؤسساتية تنضيماً عظيما، فضلا عن ولع فيبر بقضية الدين في كثير من المجتمعات قادته بالضرورة الى الاهتمام بالشخصيات الدينية والتي اراد ضمها جميعا تحت لواء السلطة الكرزماتيكية.

ويعتقد الباحث ان طبيعة الكتاب المقدس العهد الجديد بالذات والذي يخص المسيحيين بالتحديد، انما احتوى في كثير من تفاصيله واحداثه واخباره على مواقف متعددة من المشاهد والمواقف الاعجازية التي تنطوي تحت باب المعجزات المتنوعة والتي تخص السيد المسيح (عليه السلام) وحواريه ورسله الى العالم فمن المحتمل ان فيبر وبكونه مسيحي العقيدة قد تأثر بما ساقه العهد الجديد من اخبار ووقائع عزز لديه الميل نحو تأصيل مفهوم الكاريزما بطريقة سوسيولوجية بحتة، فاخرج لنا صورة فكرية دينية الجوهر سوسيولوجية المظهر، ليوضح لنا اهمية الشخصيات الدينية مالكة القوى فوق الطبيعية ودورها في أدارة المجتمع.

(١) ينظر: ج.ف.ف هيغل، محاضرات في فلسفة التاريخ، الجزء الاول، العقل في التاريخ، ت: د.امام عبد الفتاح امام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت. ص١٠١- ١٠٣.

المبحث الثالث

مفهوم الكاريزما عند فيبر من الظهور الى التنظير

لقد اراد فيبر ان يفسر مسيرة المجتمعات البشرية بمفهومين اساسيين هما: الديمقراطية والكارزمية، حيث وجد بان التاريخ لا يستمر في حركة دائبة وعلى خط مستقيم، وانما تحدث فيه فترات استثنائية تتجاوز الحركة البطيئة التدريجية للتاريخ، يظهر فيها الابطال العباقرة الذين ارسلتهم العناية الالهية الى شعوبهم، في مراحل خاصة. اتخذ فيبر من العقلانية "Rationalization" اكثر العناصر شمولا في فلسفة التاريخ، لان ظهور وسقوط الأبنية المؤسسية، وصعود الطبقات والاحزاب والحكام يكشف بكل وضوح عن الانتقال العام من العقلانية العلمانية " Secular Rationalization"، وزحزحة العقل من الاستمرارية.

وقد عزا فيبر مثل هذا الانتقال الى انبثاق فئات من المثقفين والانبياء والمرشدين الدينيين، والحكماء، والفلاسفة، والفقهاء، والفنانين التجريبين واخيرا العلماء التطبيقيين، فلم تستمر الحركة العقلانية في التاريخ فقد توقفت مرارا في مسيرة التاريخ الطويلة، خلالها تصدعت الانظمة والاشكال الرتيبة للحياة والتي اثبتت عدم كفاءتها للسيطرة على حالة مضطربة من التوتر والضغط والشقاء...

ولهذه الحالة القلقة المضطربة قدم (فيبر) مفهوما جديدا يعمل مع البيروقراطية من اجل أحكام التوازن في استمرارية التاريخ- هو مفهوم الكاريزما [١] "Charisma".

ان الكاريزما لدى فيبر تعني صفة خاصة لفرد معين، وبفضلها يتميز عن اقرانه العاديين، ولهذا يعامل على انه يملك قوى فوق الطبيعية او فوق انسانية او على الاقل قوى خاصة محددة او صفات معينة، وبعبارة دقيقة فأن دائماً ما يستخدم ماكس فيبر مفهوم (كارزما) ليعني به صفة فوق عادية "extraordinary quality" التي يملكها اشخاص او موضوعات حيث انها فكرة تعطيهم صفة التفرد والسحر والقوة[٢]. ومن ناحية اخرى نجد ان المتمتع بهذه الصفات او القوى بنظر فيبر، يعامل او ينظر اليه على انه قائد.

ويتفق كثير من الباحثين على ان فيبر عرف الكاريزما بانها الصفة الشاذة لشخص يظهر مقدرة فوق الطبيعية، فوق بشرية او على الاقل غير مألوفة بحيث يبدو وكأنه كائن سماوي، مثالي استثنائي، ولهذا السبب يجمع حوله اتباعا او انصارا، ولقد راى فيبر كذلك بان سلوك الكاريزمي ليس وقفا على النشاط السياسي، لاننا يمكن ان نلاحظه ايضا في الميادين الاخرى، كالدين والفن والاخلاق وحتى الاقتصاد، ومع ان احدى سمات الكاريزما حسب فيبر، هي البقاء خارج اللعبة الاقتصادية العادية ان لم يكن معاداتها في السياسة، وترتدي هذه الهيمنة وجوها عدة الديمانموجي والدكتاتور الاجتماعي والبطل الاجتماعي او الثوري[٣].

أي انه يمتلك قوة ثورية هائلة، والتي جعلت من فيبر ينظر من خلالها للسيادة او السلطة القانونية والتقليدية وعدها بناءات دائمة تؤمن الحاجات اليومية للمجتمع ومثل هذه البناءات انما هي غير كافية لارضاء الحاجات غير العادية عند تبنيها، مما قاده ذلك الى القول: ان انما اوقات الازمات يتطلب رجل فوق طبيعي لا موظف (أي لا بيروقراطي) "السلطة القانونية" ولا سيد "أي ارستقراطي او برجوازي" معتمد على القداسة او السلطة التقليدية، وانما تحتاج الى رجل يؤمن بأمتلاكه مواهب فوق عادية في جسده وعقله، فهو يرى ان الازمات تجعل الرجال يستنجدون بمثل هذا القائد، والقائد الذي يستجيب لمثل هذا النداء برأيه، انما يكون من انواع متعددة، ربما يكونون رسل او انبياء او ابطال سحرة اطباء او دجالين، قائد الغوغاء والاجواق، زعماء العصابات، فهؤلاء برأيه عندما يسيطرون على اتباعهم بموجب كارزميتهم فان قيادتهم هي ذات النوع من جهة النظر السوسيولوجية[٤].

وفيبر ينظر الى السلطة الكاريزمية في انقى صورها واكثرها حدة والتي هي برايه تتمثل في قيادة "النبوة" صاحبة السلة الغيبية المطلقة، ويصف فيبر النبي بانه الانسان الذي يستطيع بواسطة الفضيلة والهبة الشخصية التي يمتلكها "الكاريزما" وبفضيلة المهمة المقدسة والرسالة التي يدعو اليها- ان يدعو الى عقيدة دينية او امر آلهي، فالنظر الى النمط الكاريزمي على انه مرتبط بنوع من النبوة الدينية- عند فيبر- يعتمد أساسا على وصف الخاصية الكارزمية ببعض الصفات والمقومات

(١) د. عبد الجليل طاهر، مسيرة المجتمع، بحث في نظرية التقدم الاجتماعي، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط١،١٩٦٦،ص٤٤٤-٤٤٥.

(2) Reihard bendix, Ibid PP 295.299.

(٣) جوليان فروند، سوسيولوجيا ماكس فيبر، مركز الانماء القومي، بيروت، د.ت ،ص١١٣.

(4) Reinhard bendiax, ibid, PP 299-300.

المركزة التي تمكن صاحبها من الاتصال بالقوى العظمى المتحكمة في وجود الانسان وفي الكون[١].

فنموذج النبي كصاحب قدرات كارزمية كنوع قيادي سياسي لدى فيبر يمثل النموذج النقي لموضوع (الكاريزما)، ولقد تسأل فيبر عن كنه النبي من منظور علم الاجتماع، قائلا سوف لا نضع هنا أي اهمية فيما يتعلق بالتساؤل العام بخصوص جانب الخلاص bringer of salvation فليس كل آله مجسم بصفات بشرية يكون منظما حد العبادة وجالبا للخلاص، سواء اكان هذا الخلاص داخلي او خارجي، فالتاكيد هو لن يصبح من يجلب الخلاص ألاها او حتى منقذا، على الرغم من ان مثل هذه الظاهرة كانت معروفة بشكل واسع، نحن سنفهم النبي كشخص يحمل صفات كارزمية صرفة وبفضل رسالته ينشر مذهبه الديني ووصاياه المقدسة، وسوف لن يكون هناك فرق جوهري بين المجدد في الدين "Renewer of Religion" الذي يعلم الوحي الاكبرالحقيقي الافتراضي ومؤسس الدين "founder of Religion" الذي يدعي منح الحريات الكاملة، ويختلط النوعان ببعضهما وعلى أية حال، فأن تكوين المجتمعات الدينية الجديدة لا يحتاج ليكون نتيجة التعليم او الوعظ المذهبي من قبل الأنبياء، طالما يمكن حصولها بسبب الانشطة التي يمارسها المصلحون من غير الانبياء[٢].

يتين لنا من خلال الاقتباس الوارد اعلاه، ان فيبر طرح ثلاث قضايا مهمة وهي على النحو الاتي:

اولا: ان الكاريزما هي سمة اساسية من سمات النبي، وهي سمة تختلف عن السمات السابقة التي كان يفهم بها النبي على انه جزء بشري والهي دمجتا في شخص النبي، وانما يقرر فيبر تقرير مهم جدا هو ان النبي له صفات وفضائل من الاله أهلته ليكون نبيا.

ثانيا: يفرق بين المجدد والمؤسس من الانبياء، وهذا الشئ ضروري جدا ولقد اكدت عليه الدراسات اللاهوتية، ونظرة فيبر السوسيولوجية انما تحتوي فكرة رئيسية تتمثل في أن التغير الاجتماعي يختلف فيما بينها لي بين المؤسس والمجدد، واعتقد ان نظرته هذه مرجعها التفريق بين النبي موسى المؤسس للديانة اليهودية وبين النبي عيسى المجدد في تلك الديانة.

ثالثا: ان قوله ان المجتمعات الدينية المتاثرة بالوعض والتعليم الديني لا يكون تاثرها وقفا على الانبياء فقط بل المصلحين كذلك، وهذا مرجعه الى الاعتقاد المكرر في كتابات فيبر الذي يؤكد على ان الكاريزما ممكن ان يمتلكها شخصيات دينية وغير دينية.

وعلى صعيد اخر نجد ان فيبر يعتبر الالهامية (الكارزمتية) تعني عدم الاستقرار والخلق (الابتكار) فانه في طريقته الفعلية في استخدام مصطلح الالهامية اختصر الجوانب الابتكارية في الحركات الالهامية، وبالرغم من انه اتخذ من عبارة السيد المسيح انه مكتوب... ولكني اقول لكم "كمثال توضيحي لرفض الشخصية الملهمة للتقليد، الا ان العلاقة بين الالهامية والمعتقدات التقليدية اكثر تعقيدا مما تدل عليه فكرة الاختراق او التقدم المفاجئ لها فيحتمل مثلاً ان يستأنس القائد الملهم بالتقاليد (كعصر ذهبي) وكطريقة لنقد وتغيير الحاضر. ولا يجد هذا الصنف من القادة الملهمين انفسهم من خلال تخطي التقاليد، ولكن من خلال احياء للماضي المفقود، ولما كانت معيير العقل والمعتقدات الماضية غالبا ما تكون غير ملائمة للاوضاع الحديثة، فان الحركة الملهمة قد تقوم على

(١) د. نيفين عبد الخالق، قيادة الرسول وخلافته والانماط المثالية للسلطة لماكس فيبر، دراسة مقارنة، مجلة العلوم الاجتماعية- المجلد١٤- العدد٤ شتاء١٩٨٦، الكويت، ص١٣٦-١٣٧.

(2) max weber, the sociology of religion, translated by Ephraim fis choff introduction by talcott parsons, printers utd, lodon, 1965, P. 46.

تحديث التقاليد ومن ثم تحويلها الى استخدامات اخرى وفي ضوء هذا فهم فيبر النبوة اليهودية على انها عملية تحديث لمثاليات التقاليد البدوية[١].

وعودا على بدء، نجد ان اخضاع فيبر ظاهرة مثل (النبوة) لطريقه- التفكيرالعقلاني، جعلته يساوي بين النبي واي شخص يعتقد فيه انه يمتلك مواهب غير عادية، حيث يكفي مجرد الاعتقاد والاقتناع بأمتلاك شخص ما لهذه المواهب غير العادية، حتى ولو لم تكن موجودة فيه فعلا، ولذلك فقد اكد فيبرعلى الحاجة للاعتراف الاجتماعي بتلك الخاصية، والتي بدونها يصبح امتلاك القائد لهذه الهيبة وكانه لا معنى له، وهذه النظرة تختلف عن نظرة الفكر الاسلامي الى نبوة فالنبي يكون نبياً وطاعته واجبة حتى لو كذبه الناس جميعاً، ولا تنفي رسالته بموته فهو نافذ الطاعة في حياته وبعد مماته[٢].

وفي مسالة تكون الكاريزما لدى النبي يرى فيبر ان ادعاء الالهامية الدينية للسلطة يعتمد غالبا على رسالة خاصة من مصدر مقدس اوصلت اليه بعض الرؤى او الوحي ويدعي احيانا ان التجارب الدينية ذاتها عبارة عن دليل او برهان على وجود عالم الغيب وان هذه التجارب يمكنها ان تقدم نظرات او معلومات جديدة عن الآلهة، وان هناك افتراضا يكمن وراء النظرة السائدة للالهامية مؤاه وجوب ان يسبق ظهور الرسالة الالهامية تجربة آلهامية ا وان يدعي القائد الملهم مروره ببعض التجارب الفريدة التي تحققت خلالها بعض الهبات الخاصة او التعاليم[٣].

وفي الوقت نفسه يرى فيبر ان هذه التجارب الدينية انما تقدم دليلا او شاهدا على اشياء معروفة او معتقداً بها مسبقاً، ولتسمية تجربة ما انها (تجربة دينية) يعني ان الشخص يمتلك فعلا مجموعة من المقولات التي عن طريقها يمكننا تسمية واقعات معينة كواقعات دينية، مثلا اذا اراد كائن فوق انساني الاتصال بي، فانه في تجربة كهذه يجب عليه ان يتصل بي بلغة افهمها والا فانه لا يمكن نتحدث عن الاتصال، فلهذا عندما ظهر جبرائيل للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، كان النبي فعلا يمتلك بعض الافكار الدينية التي تمكنه من تفسير مجموعة من الاحداث عند (مشاهدة جبريل Having avission of Gabriel)، وبالمثل فان النبي يجب ان يكتسب مجموعة الافكار التي سمحت له بفهم محتوى القرآن حينما يشير الوحي الى بعض الوقائع مثل اليوم الاخر او الخوف من الله و(نكران الجميل)، والاسلام واضح تماما في هذا الامر، فلكي يتحدث الله للناس عن طريق أنبيائه فانه يأخذ على نفسه ان يتكلم بلغة معينة[٤].

ونستنتج مما قاله فيبر ايضا، ان لا نبوة الا بتجارب دينية سابقة هي مشابهة بشكل او باخر لعمومية بعض التجارب لدى الانبياء وبشكل عام، أي يوجد (رياضة او ترويض او تدريب ديني سابق)، ثم تعقبها عملية اتصال الوحي بالفرد المعين الذي ستناط به مسؤولية النبوة، ومن الملاحظ ان ظاهرة الوحي انما تقترن عبر كل الاديان السماوية وعند الانبياء جميعاً مع جبريل الملك الاعظم المكلف بالاتصال بالفرد المعين (صاحب النسك والتبتل العالي او التطهر) لابلاغه انه نبي مجتمعه وانه وجب عليه تبليغ رسالة سماوية للاصلاح الاجتماعي وعلى كل المستويات، وهذا الوحي هو ناقل (هبة الكاريزما النبوية) من الله تعالى لمن اختاره ليكون نبيا او رسولا.

وظاهرة الوحي هي اعلى درجات الكاريزما الخاصة بالانبياء، وتحتل هذه الظاهرة لدى اصحاب الديانة المسيحية موقعا متميزا ومهما في الوقت ذاته، لكونها ارتبطت بالسيدة مريم ثم

(١) براين تيرنر، علم الاجتماع والاسلام، دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر، ت: د. ابو بكر احمد قادر، دار القلم، ط، ١٩٨٧،ص٤٥-٤٦.

(٢) د. نيفين عبد الخالق، مصدر سابق، ص١٣٦.

(٣) براين تيرنر، مصدر سابق، ص٤٦.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص٤٦-٤٧.

ارتبطت بعد اذ بابنها السيد المسيح، فلقد ورد في الانجيل وحين كانت اليصابات "خالة السيدة مريم" وفي شهرها السادس، ارسل الله الملاك جبرائيل الى بلدة في الجليل اسمها الناصرة،الى عذراء اسمها مريم كانت مخطوبة لرجل من بيت داوود اسمه يوسف، فدخل الملاك وقال لها: السلامُ عليك، يا من انعم الله عليها؟ الرب معك، فاضطربت مريم لكلام الملك وقالت في نفسها: ما معنى هذه التحية؟ فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم، نلت حظوة عند الله: فستحبلين وتلدين ابنا تسميه يسوع. فيكون عظيماً وابن الله تعالى يدعى، ويعطيه الرب الاله عرش ابيه داوود، ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية!) فقالت مريم للملاك: "كيف يكون هذا وانا عذراء لا اعرف رجلا؟" فاجابها الملاك: "الروح القدس يحل عليك، وقدره العلي تظلك، لذلك فالقدوس الذي يولد منك يدعى ابن الله، ها قريبتك اليصابات حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس، وهي التي دعاها الناس عاقرا. فما من شئ غير ممكن عند الله "فقالت مريم: انا خادمة الرب: فليكن الي كما تقول[١].

ويتضح لنا علاقة السيدة مريم بالوحي (جبريل) وعلى الرغم من كونها "ليست نبية"، ومرجع هذا انها مرت بتجارب دينية سابقة من عبادة وتبتل الى الله تعالى، وهذا يبين لنا ان الوحي بشكلا عام وان لم يكن جبريل فحسب بل "النقر في الاذنت والنفث في النفس" كما اتفق بعض المتشرعة، ليس مخصوصا على الانبياء فحسب، بل ليشمل الصالحين والصديقين ولقد تحدث فيبر عن تجارب دينية متعددة ولعدة انبياء "موسى، السيد المسيح، محمد صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك عن بوذا وذلك عندما اعتبره نبيا، وسيكون كلامنا وحديثنا القادم قائم على "التجربة المسيحية" أي على تجربة كاريزما السيد المسيح، وعن كسبه للاتباع وكيف تم؟ وهل تملكوا او حصلوا على الكاريزما كذلك؟ وهذا ما سنحاول معرفته في المبحث القادم.

المبحث الرابع
كاريزما النبي عند فيبر من الامتلاك الى التمليك

لقد مر السيد المسيح بتجارب دينية متعددة في مرحلة الصبا، ولعل مجيئه الى الحياة من امرأة غير متزوجة، هو بحد ذاته هي عملية حيازة على الكاريزما من نوع خاص لم يشاركه فيها كل الانبياء، وهذا الامر متفقا عليه، ولقد بشر نبي الله يوحنا المعمدان لمجئ نبي اعظم منه وارفع منزلة وخظوة عند الله، وانه لن يعمد بالماء كما فعل "يوحنا" بل يعمد بروح القدس، فضلا عن امتلاكه تجارب روحانية عالية جدا [٢].

وكاريزما النبي كسلطة دينية في نظر فيبر تعتمد على توافر ثلاث متغيرات وهي رسالة انجازية تبشيرية، وصفات شخصية، ثم دافع وفرصة لنشر الدعوة [٣]، ومن الملاحظ على فيبر انه اعطى اهمية كبرى لمسالة الصفات الشخصية للنبي وتأثيرها في نشر الدعوة وبنى عليها بوصفها هبات آللهية (كاريزما) لا وجود لها في البناء الاجتماعي انما هي غيبية المنشئ فهو يقول: ان الدعوة

(١) انجيل لوقا، ١٠.

(٢) ينظر، الكتاب المقدس العهد الجديد، انجيل لوقا ٢،٣، انجيل يوحنا ١،٣،٤.

(٣) د. نيفين عبد الخالق، مصدر سابق، ص١٣٨.

الشخصية هي عنصر حاسم فيما لو اردنا التمييز بين النبي والكاهن، اذ يدعى الاخير السلطة بفضل خدمته للتقاليد المقدسة، بينما تبنى دعوة النبي على الهامه الشخصي وسماته الكاريزمية التي يمتلكها(١).

وعلى صعيد الرسالة الدينية للنبي نجد فيبر أن اراد توضيحها من خلال مفهوم "الكاريزما" كذلك، مستندا على حقائق ممثلة بكون ان الالهامية هي عبارة عن اعادة تفسير للحقائق المعروفة ورؤية العالم مسبقا، فلهذا نجد ان احد اهدافه النظرية في كتابه (اليهودية القديمة) يتمثل في رفض التفسير الماركسي السطحي وبالذات قول كارل كوتسكي في كتابه "اصول المسيحية" بان الانبياء كانوا عبارة عن قادة ثوار من الطبقة الكادحة والمقهورة، فيوضح فيبر انه على العكس من ذلك كان الانبياء معزولين عن الجماهير وكان واقعهم ذو طابع ديني اساسا كما كانوا يمثلون (طبقة من العلماء والمثقفين) يسندها مجموعة من الصالحين (٢).

وهذا يعني ان (الكاريزما) لم تكن لدى الانبياء مؤسسية المنشئ وذلك لكونهم لم يكونوا ينتمون الى طبقة دينية او سلك كهنوتي معين، وفي هذا الاطار نرى فيبر انه قد حاول جاهدا في اغلب مقالاته تبرئة ساحة الانبياء من هذا الادعاء الذي اتهموا به فنجده يقول: وليس صدفة ان لا يرتقي النبي من طبقة الكهنة لكونه يحمل سمات كاريزمية الالهية وعادة لك يكن الواعظين الهنود بشأن الخلاص من الطبقة المثقفة العليا "البراهاما" ولم يكن انبياء بني اسرائيل من الكهنة، اما حالت زرداشت فلقد كانت استثناء (٣)، ولكي يبرء فيبر ساحة الانبياء من تهمة كونهم ينتمون الى طبقة كهنوتية- مؤسساتية، نجده يعتمد العامل الاقتصادي كعامل يتميز به النبي عن الكاهن فيقول: ان معيار الخدمة المجانية يميز ايضا النبي عن الكاهن، ان النبي الانموذجي ينشر الافكار لذاتها فقط دون انتظار أي اجر مقابل ذلك- على الاقل بصيغة واضحة ومنظمة، ولهذا نجد مقابل ذلك ان السيد المسيح كان يعيش من عمل يده(٤).

فضلا عن ذلك، اشار فيبر الى التمييز بين الطبقة الدينية (رجال الدين) الذين تسندهم الدولة وبين الانبياء الذين لا تدفع لهم الدولة اجورا، ويعتمدون على انفسهم، واوضح فيبر كيف كانت هذه النبوة في القرن التاسع ، تختلف عن فترة الاستغراقية عند الجيوش الائتلافية القديمة فلم يكن هنالك نبي منظم الى جماعة روحية مثل كنيسة "A pocaslyptics" كما لم يفكر نبي بايجاد جماعة "Congregation" في كنيسة ما... بل ولقد وقف الانبياء وسط شعبهم وكانوا مهتمين بالاخلاق وليس بتكوين مجموعات دينية(٥).

وفي الحقيقة نجد انه من الصعوبة الحديث عن كنه كاريزما الانبياء بشكل عام وذلك لانها تخضع لاعتبارات غيبية كثيرة، يخفى علينا جزءا كبيرا منها، ولكن ممكن ملاحظة ظواهرها وما ينجم عنها لدى الانبياء، وفي حالة كاريزما السيد المسيح نجد اكبر المظاهر الكاريزماتيكية والتي تجلت في مواطن كثيرة ومتنوعة، وعل ابرزها والذي يخصنا هنا بالذات هي مسالة توظيف الكاريزما لكسب الاتباع والمريدين لرسالته المكلف بنشرها.

ولكن الشئ اللافت للانتباه هو ان النبي عيسى عندما اختار اتباعه الخلص الذين اطلق عليهم "الحواريون" الاثنى عشر، انه كان يامرهم باتباعه فيتبعونه مباشرة وهذا يعني انهم كانوا على مستوى عالي من الاستعداد النفسي والعقلي والعقائدي لايمان بنبوة جديدة تبعث لبني اسرائيل، ولكنهم

(1) Max Weber, sociology of religion, Ibid, P. 46.

(٢) براين تيرنر، مصدر سابق، ص٤٧-٤٨.

(3) Max Weber, Ibid, PP. 46-47.

(4) Max Weber, Ibid P. 46.

(5) ibid, PP.47-48.

كانوا بحاجة الى دلائل او براهين تثبت لهم نبوته، وهذا بالتالي يتطلب دلائل وبراهين من معين كاريزما النبوة "أي هم بحاجة الى "مظاهر كرزمية" ممثلة بالمعجزات "Miracles" والمعجزة هي حدث خارق للعادة او يحمل سمة غير عادية، يعتقد المتدينون بان الله او عامل غير معروف قد يتسبب في حدوثه[١] حتى يؤمنوا بالسيد المسيح، ولا يقف الامر عند هؤلاء الاتباع بالذات بل يشمل الامر جميع ابناء المجتمع انذاك ما عدا "رجال الدين اليهود المؤسسين"، فلقد ورد في انجيل لوقا: "وكان يسوع على شاطئ بحيرة جينسارت (الجليل)، فازدحم الناسعليه ليسمعوا كلام الله، وراى قاربين راسيين عند الشاطئ خرج منها الصيادون ليغلسوا شباكهم فصعد الى واحد منها، وكان لسمعان (بطرس فيما بعد)، وطلب منه ان يبتعد قليلا عن البر، وجلس يسوع قرب القارب، يعلم الجموع، ولما ختم كلامه، قال لسمعان: "سر الى العمق والقوا شباككم للصيد" فاجابه سمعان: "تعبنا الليل كله، وما اصطدنا شيئا، ولكني القي الشباك اجابة لطلبك، وفعلوا ذلك فامسكوا سمكا كثيرا وكادت شباكهم تتمزق، فاشاروا الى شركائهم في القارب الاخر ان يجيئوا ويساعدوهم، فجاؤوا وملئوا القاربين حتى كاد ان يغرقون، فلما راى سمعان (بطرس) ما جرى، وقع على ركبتي يسوع وقال "ابتعد عني يا سيدي! انا رجل خاطئ" وكان في دهشة هو ورفاقه كلهم لكثرة السمك الذي اصطاده، ومثلهم يعقوب ويوحنا، ابناء زبدي شريكا سمعان، فقال يسوع لسمعان:"لا تخف! ستكون بعد اليوم صياد بشر" أي داعية الى الله لكسب الناس" ولما رجعوا بالقاربين الى البر، تركوا كل شئ وتبعوا يسوع[٢].

فمعجزة السمك الوفير كسبت الاتباع الاوائل سمعان (بطرس) واندرواس، والاخوين شريكيهما يعقوب ويوحنا، ولعله هو الذي امرهم بترك سفنهم والالتحاق به لتادية دور التابعية على اكمل وجه، وذلك لكونهم سيغدون الاصوات الناطقة بالرسالة المسيحية.

وفي كل مراحل الدعوة، نجد ان معجزاته ممثلة بعدة اشكال ابرزها اشفاء المرضى من الكمه والبرص، والعرج، فضلا عن قيامه بالمعجزة الكبرى احياء الموتى، وهذا ما اشار القران الكريم اليه على لسانه (عليه السلام): "وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله" آل عمران -٤٩-

وهذا يقودنا الى مسالة جد خطيرة ومهمة وهي ان الكاريزما بمظاهرها الاعجازية انما ترتبط باحتياجات المجتمع وما سائد فيه من ظروف صعبة وعلى كل النواحي، فتظهر كاريزما النبي بمثابة الأية والدليل من جهة "على صحة دعوى صاحب النبوة، وبمثابة الحل الغيبي" على يد النبي المنقذ من ناحية اخرى، من الواضح ان الظروف الصحية السيئة التي كانت تعاني منها الدولة الرومانية الحاكمة" والناجمة عن الفقر المدقع من جراء كثرة الضرائب وألاتاوات، وانشغال الحكام بتثبيت عروشهم على حساب الطبقات المسحوقة، فلهذا تظهر الاوبئة ونحو ذلك من الظروف الصحية السيئة، فلما كان عصر النبي موسى هو عصر الرخاء الاقتصادي والرفاهية العالية التي ولدت السحر والسحرة فجائهم بمعجزات تجابه وتتحدى روح العصر، السيد المسيح جاء بمعجزات تتحدى كذلك روح عصره وما ابتليت به.

ونعتقد ان القرآن الكريم بين اول معجزة (كاريزماتيكية) قام بها السيد المسيح، الا وهي بعث الحياة في الطين وعلى هيئة الطير، "ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله" آل عمران-٤٩- فلقد اوضح السيد المسيح انما يقوم بمعجزاته بأذن من مانح القدرات الكاريزماتيكية أي الله جل وعلا.

وفي هذا المجال نجد فيبر يؤكد على ان مشكلة الاتباع تكمن في انها لا تستند على الدعوة الخاصة والتي ينظر اليها على انها هي اساس دعوة القيادة الملهمة، ولكنهم لسوء الحظ سوف يتبعون

(1) World Book, Encyclope Dia, copyright, 1962, volume 12, P. 518.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد، انجيل لوقا ٤،٥.

القادة الملهمين الذين يستطيعون القيام بأعمال سحرية ويقدمون عطايا مادية[١]، فالمعجزات شئ اساسي لكل الانبياء، وذلك لكونها تمثل الحجة الدافعة لكل من يسال عن مصداقية مدعي النبوة، فضلا عن انها للاتباع فيما بعد مظلة امان اجتماعية- اقتصادية- سياسية، يستظلون بها ازاء التحديات التي تجابههم وتعترض نشر رسالة نبيهم فيما بعد، ولعل النبي "السيد المسيح" كان بموجب تلك الكاريزماذات المظاهر الاعجازية المتعددة والتي تملك قوة الزام وفرض على الاخرين ليطيعوه، ولا سيما اولئك الذين يمتلكون تجارب دينية سابقة وعلى علم بحقائق النبوة، ويذكر فيبر هذه الطاعة الملزمة للأتباع من قبل النبي بوصفها قائلاً: ان القائد الكارزما هو الرجل الذي يطالب الاخرين بالاذعان له على اساس المهمة التي يشعر بانه ارسل لانجازها، ويصبح مطلبه شرعي فيما لو ادرك هؤلاء الذين يبحث عنهم ليقودهم طبيعة مهمته، ويبقى سيدهم طالما ان يبرهن ذاته ومهمته في عيونهم، اذ ان الشرعية في هذه القضية ليس لديها حق الاختيار، فالقائد مستدعي من قبل قوة عليا لا يستطيع رفضها واتباعه ملزمين بواجب الطاعة لقائدهم الذي يملك الاهلية الكارزماتية[٢].

وعند تحليل بعض المضامين التي انطوت عليها معجزات السسيد المسيح والتي هي بمثابة كارزمة نبوته، لنجد قدرات كاريزماتيكية عالية المستوى، فضلا عن انها معقدة في بعض جوانبها، وعلى النحو الاتي:

اولا: انه يحاول ان يخفيها في بعض الاحيان، ويطلب من الذين يمنحهم معجزة الاشفاء مثلاً ان لا يخبروا احدا (حادثة شفاء الابرص، انجيل الوقا، وانجيل متي ٧و٨/).

ثانيا: ايمان الفرد المحتاج الى المعجزة بصاحب المعجزة وألية عملها حسبما يؤكد السيد المسيح على ذلك (حادثة شفاء خادم الضابط انجيل متي٨، انجيل لوقا٧، انجيل يوحنا ٤/).

ثالثا: الاتيان بالمعجزة وامضائها بنظر السيد المسيح هي اسهل من قضية غفران الخطايا (حادثة الكسيح الذي شفاه السيد المسيح، انجيل مرقس٢، انجيل متي ٨و٩، انجيل لوقا ٥).

رابعا: مريض يشفى بمجرد ايمانه انه سيشفى لو لامس ثوب السيد المسيح (حادثة احياء صبية وشفاء امراة لامست ثوب السيد المسيح، انجيل متي٩، انجيل مرقس٥، انجيل لوقا ٨).

خامسا: المعجزة لدى السيد المسيح تتم في كل الامكنة والازمنة، حتى يوم العطلة الدينية لدى اليهود، _حادثة اشفاء مريض يوم السبت انجيل مرقس٣، انجيل لوقا٦، انجيل متي١٢).

سادسا: المعجزة ممكن ان تأتي على شكل انماء الشئ والمبالغة في وفرته، والتي تسمى قضية البركة، والتي اشار اليها السيد المسيح نفسه عندما جاءت به أمه تحمله صبيا لبني اسرائيل فقال: (وجعلني مباركا اين ما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) مريم-٣١-. فما دام هو مباركا كرزميا "فهو يستطيع ان ينقل تلك الطاقة الى الاشياء والافراد وفعلا هذا ما فعله، فقد اطعم خمسة الاف رجل من خمسة ارغفة وسمكتين، والتين كانتا بحوزة اتباعه فقال لهم يسوع:" هاتوا ما عندكم" ثم امر الجموع ان يقصدوا على العشب، واخذ الارغفة الخمسة والسمكتين، ورفع عينيه نحو السماء وبارك وكسر الارغفة واعطى تلاميذه، والتلاميذ اعطوا الجموع فاكلوا كلهم حتى شبعوا، ثم رفعوا اثني عشر قفة مملوءة من الكسر التي فضلت، وكان الذين اكلوا نحو خمسة الاف رجل، ما عدا النساء والاولاد[٣] ويقوم مرة اخرى بمباركة اطفال يؤتى بهم اليه:"دعوا الاطفال ياتون الي ولا تمنعوهم، لان لأمثال هؤلاء ملكوت الله، الحق اقول لكم: من لا يقبل ملكوت الله كانه طفل لا يدخله، وحضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم[٤].

---

(١) براين تيرنر، مصدر سابق، ص٤٤-٤٥.

(2) Reihard Bendix, Ibid, PP. 300-301.

(٣) انجيل متي، ١٤.

(٤) انجيل متي، ١٥،١٦، انجيل مرقس ٩،١٠.

وعودوا على ما ابتدائنا به، نجد ان السيد المسيح اختار الصفوة من اتباعه وهم الحواريين الاثنى عشر، ولقد اختبرهم، عندما اراد كشف المؤمنين الحقيقين بعدما احس من بني اسرائيل الكفر به وبكاريزميته اليونة"، فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله واشهد بأنا مسلمون" آل عمران-٥٢- ثم وضع لهم منهجا يسيرون عليه عند تبليغهم ونشرهم لرسالته بين الناس ولا سيما بني اسرائيل، أذا مرهم ان يبشروا في الطريق بان ملكوت السماوات اقترب[١] ثم أمرهم بان يقوموا ببعض الاعمال والمعجزات عند نشرهم الرسالة السماوية، فلقد امرهم:"ان يشفوا المرضى ويحيوا الموتى ويطهروا البرص ويطردوا الشياطين، ثم يذكرهم فيقول:"مجانا اخذتم مجانا اعطوا" ويمكن لنا ان نستنتج من قضية المنهج والاوامر التي وضعها السيد المسيح امورا عدة، وعلى النحو الاتي:

اولا: ان السيد المسيح أهلّ اتباعه الاثنى عشر "الحواريون" لمرحلة روحانية- غيبية عليا تمثلت بجعلهم اصحاب كاريزما يباشرون عبرها تحقيق المعجزات"، وهذا انما تم بما كان يملكه من سلطة. تلك السلطة التي سأل عنها وهو يعلم في الهيكل من قبل رؤساء (الكهنة) وشيوخ الشعب اذ قالوا له: بأية سلطة تعمل هذه الاعمال؟ ومن اعطاك هذه السلطة؟ فاجابهم يسوع:"وانا اسالكم سؤالا واحدا، ان اجبتموني عنه، قلت لكم بأية سلطة اعمل هذه الاعمال: من اين ليوحنا سلطة المعمودية (أي التعميد بالماء)؟، من السماء ام من الناس؟ فقالوا في انفسهم "ان قلنا من الله يجيبنا: فلماذا ما امنتم به؟ وان قلنا من الناس نخاف الشعب، لانهم كلهم يعدون يوحنا نبيا" فاجابوا يسوع " لا نعرف "فقال لهم: "وانا لا اقول لكم باية سلطة اعمل هذه الاعمال[٢] فمن الظاهر من النص السابق انه اراد ان يقول لهم ان سلطتي من الله، وهي كذلك بالتاكيد، ولكنه اراد ان يحرجهم، وسلطته هذه بشكل عام هي مانحة الكاريزما للأتباع.

ثانيا: من الواضح ان اليات نشر الرسالة المسيحية لا يمكن ان تؤدي دورها على اكمل وجه الا عبر القيام بمعجزات مستمرة كدلائل وبراهين على مصداقية الدعوة، وهذه المسؤلية هي اهلت اتباع السيد المسيح "الحواريين" باظهار "الكاريزما النبوية" لنبيهم،بمعنى ادق انهم حققوا معجزات تشابه معجزات قائدهم الكارزماتيكي "السيد المسيح" ومن جهة اخرى انهم كانوا ورثته الحقيقيين وخلفائه والدعاة، فالسيد المسيح لم يترك وريث واحدا بل مجموعة ورثه "كدعاة ورسل الى العالم فيما بعد، وبالتاكيد ليس كانبياء يتوارثون كحالة النبي داوود وولده النبي سليمان.

ولقد اخبرهم اكثر من مرة انهم مؤيدون من الله تعالى، وان روح القدس (جبريل) ناقل الكاريزما (النبوية) وناصرها، سيكون بمعيتكم بكل شئ: "هو روح الحق الذي لا يقدر العالم ان يقبله، لانه لا يراه ولا يعرفه، اما انتم فتعرفونه، لانه يقيم معكم ويكون فيكم"[٣] بل انه يعتبره في بعض الاحيان هو المسدد والقائد نحو الحق، "قلت لكم هذا كله وانا معكم، ولكن المعزي، وهو روح القدس الذي يرسله الاب باسمي، سيعلمكم كل شئ ويجعلكم تتذكرون كل ما قلته لكم"[٤] وفي نص اخرا يقول : "فمتى جاء روح الحق ارشدكم الى الحق كله، لانه لا يتكلم بشئ من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما سيحدث، وسيمجدني لانه ياخذ كلامي ويقوله لكم[٥].

بشكلا عام، نجد ان الكاريزما قد انتقلت بعض خصائصها العامة من السيد المسيح الى الحواريين ومن ثم اصبحوا يحملوا كاريزما ولكنها ليست "نبوية": بل هي كاداة رئيسية لنشر الرسالة

(١) انجيل متي، ٩،١٠.

(٢) انجيل متي، ٩،١٠.

(٣) انجيل لوقا،١٢.

(٤) انجيل يوحنا،١٤.

(٥) انجيل يوحنا،١٥،١٦.

المسيحية وهذا يعطينا اسئلة جوهرية مثيرة للاهتمام، وهي هل ان كل اتباع النبي هم يحملون الكاريزما؟ ام هل هي محددة ومقتصرة على الخلص والمقربين دون سواهم؟، وهل هي بالتساوي فيما بينهم ما دام انه لا يوجد وريث وحيد للسيد المسيح يخلفه لينشر الرسالة الى العالم؟ وهذا ما سنحاول الاجابة عليه في المبحث القادم.

المبحث الخامس
كاريزما النبي عند فيبر من المؤسس الى التمأسس وقفة عند ازمة الخلافة

ان المسالة الكبرى للهيمنة الكاريزمية هي مسالة الخلافة، بالفعل، كيف يمكن ادامة النظام بعد موت القائد، بما ان الكاريزما لا تعلم ولا ترسخ في الذهن، بل تستيقظ في النفس ويحس بها، وبما ان لاتباع القائد كما لهيئة اركانه مصلحة مادية وفكرية في ادامة هذه الهيمنة؟ وتكمن الصعوبة في كون طاعة الانصار اخلاصا محضا لشخص القائد وفي كونها تفتقر الى الاستمرارية التي تصنع قوة التقليد والقانونية، ويتفحص فيبر باسهاب مختلف الحلول الممكنة، فاما ان تجري محاولة لاكتشاف صاحب كاريزما اخر، متمتع بمزايا مشابهة لمزايا القائد الراحل (حالة دالاي لاما)، ونتيجة هذا الاجراء هي انشاء تقليد معين، واما يعتمد على الرؤية والوحي والقدر وحكم الله او على غير ذلك من المعايير اللاعقلانية[١].

بناء على ما تقدم واستدماجا مع انموذج البحث "السيد المسيح واتباعه" نجد ان الامر ومن واقع ما جرى، بعدما طورد المسيح من قبل اليهود، ان ازمة الخلافة قد دخلت فعلاً حيز الوجود انذاك، ولكن هناك بعض المؤشرات التي وردت في العهد الجديد تؤكد على ان السيد المسيح حدد خلفائه وهم الحواريين الاحدى عشر[*] ولم يكتفي بهذا، بل قدم عليهم بطرس في اماكن وازمنة كثيرة ويمكن لنا ان نلامس خصوصية "الحواري بطرس" من خلال المواصفات او المزايا القيادية الاتية:

اولا: لقد كان اول المؤمنين بالمسيح عبر ايمانا عميقاً جدا، اهله ذلك ليكون الحواري الاول "ولقد مر علينا هذا الايمان عندما استند على مشهد اعجازي قام به السيد المسيح لاجل كسبه كتابع[٢].

ثانيا: السيد المسيح يشهد بافضلية في اختيارا اجراه لاتباعه، عندما سألهم في محاورة معينة ومن انا في رايكم انتم؟ فاجاب بطرس ":انت المسيح ابن الله الحي" فقال له يسوع: "هنيئا اقول لك يا سمعان بن يونا، ما كشف لك هذه الحقيقة احد من البشر، بل ابي الذي في السماوات، وانا اقول لك انت صخر، وعلى هذا الصخر سأبني كنيستي، وقوات الموت لن تتقوى عليها، وساعطيك مفاتيح ملكوت

(١) جوليان فروند، سوسيولوجيا ماكس فيبر، مصدر سابق، ص١١٨.

(*) هم في الاصل اثنى عشر ولكن بخيانة يهوذا الاسخر يوطي، اصبحو احدى عشر.

(٢) انجيل لوقا، ٥،٤.

السماوات، فما تربطه في الارض يكون مربوطا في السماء، وما تحله في الارض يكون محلولا في السماء[١].

ولقد مثل هذا النص بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية في روما الدليل القاطع على ان الكنيسة قد نظمها بطرس، وان المسيح هو الذي منحه هذه السلطة، فلهذا عده البابوات فيما بعد انه المصدر الاساس لسلطتهم الدينية على كنيسة روما زعيمة الكنائس في العالم[٢] لكنه يعني بالنسبة لنا انها عملية منح سلطة كارزماتيكية عليا لبطرس يستطيع بموجبها ان يضع التشريعات الدينية التي يراها مناسبة، وكأنما هي عملية منحه "أهلية" الاجتهاد مع النص الديني "للسيد المسيح" ما تربطه في الارض يكون مربوطا في السماء، وما تحله في الارض يكون محلولا في السماء"، كلمات تعبر عن سلطة دينية عليا منحت لبطرس.

ثالثا: بطرس الحواري الوحيد الذي احتك مع اليهود قبل صلب السيد المسيح، وهذا ما تنبئ به السيد المسيح، ففي الليلة الخيرة لقائه بحواريه قال لهم "في هذه الليلة ستتركوني كلكم، فالكتاب يقول: ساضرب الراعي، فتتبدد خراف القطيع،...، فقال بطرس: لو تركوك كلهم فانا لن اتركك "فقال يسوع: "الحق اقول لك في هذه، قبل ان يصيح الديك، تنكرني ثلاث مرات، فاجابه بطرس: "لا انكرك وان كان علي ان اموت معك، وهكذا قال التلاميذ كلهم[٣] وفعلا فلقد انكره بطرس ثلاث مرات واقسم انه ليس من اتباعه، ولكن رغم ذلك الموقف الغريب لبطرس يمكن ان نستخلص منه الاتي:

اولا: ان السيد المسيح اراد ان يقول لبطرس بقوله "تنكرني ثلاث مرات" انه برغم قربك مني وعلو شانك عندي ستنكرني، وهذا ليس يعني خيانة من عندك، بل ان المسالة اعمق من ذلك وترتبط ببعد خلائفي يتمثل في ضرورة بقائه حيا لخدمة الرسالة وتورث الكاريزما وشحذ همم الاتباع الاخرين، فقد ورد في محاورة على هذا الامر قول للسيد المسيح يوجهه الى بطرس... لكني طلبت لك ان لا تفقد ايمانك وانت متى رجعت (أي الرجوع من تحقيق اليهود معك)، ثبت اخوانك[٤].

ثانيا: في مجرى الاحداث الصعبة التي مرت بالقائد الكاريزما (السيد المسيح)، في الليلة القاء القبض عليه، وكان بطرس مرافقا له (كمترقب ومراقب لما جرى ويجري على زعيمه) وكان ينتظره في الخارج من البيت المحجوز فيه، ولكنهم شكوا بتواجده في هذا المكان فساقوه الى المحاكمة، وكما يقول فيبر: انه عندما تم القاء القبض على المسيح تناثر تلاميذه، وحده بطرس هو الذي شق طريقه الى ساحة المحاكمة، لكي ينكر ويجحد زعيمه فحسب[٥]، في الحقيقة لو كان بطرس جاحدا او منكرا حقيقيا لما تبع زعيمه منذ البداية بعد ان القي القبض عليه، فلولا شخصيته المتميزة

(١) انجيل متي ١٦،١٧.

(٢) د. السيد الباز العريني، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة المصرية للطباعة، ط١،١٩٦٨، ص١٥٨-١٥٩.

(٣) العهد الجديد، انجيل مرقس،١٤.

(٤) انجيل لوقا ٢٢،٢١.

(٥) د. عادل مختار الهواري، الاصول الاجتماعية التاريخية للظاهرة الدينية، نموذج المسيحية في اوروبا، ورقة عمل قدمت الى ندوة: الدين في المجتمع العربي، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص٦٤.

والعالية الولاء لفعل مثلما فعل الاخرون وترك زعيمه يقاد او يساق وحده نحو الصلب، ويمكن ان يقال او يطرح رايا مفاده: ان موقف انكار بطرس لقائده ونبيه "هو موقف متخاذل في الظاهر، لكن نعتقد ان المسألة مرتبطة بما اوصاهم به السيد المسيح من تعاليم تخص قضية الفراغ القيادي الذي يتركه رحيله وما يرتبط بشؤون نشر الرسالة، وذلك عندما قال لهم "... انتبهوا لان الناس سيسلمونكم الى المحاكم ويجلدونكم في المجامع، ويسوقونكم الى الحكام والملوك من اجلي، لتشهدوا عندهم وعند سائر الشعوب، فلا تهتموا حين يسلمونكم كيف او بماذا تتكلمون، لانكم ستعطون في حينه ما تتكلمون به فما انتم المتكلمون، بل روح ابيكم السماوي يتكلم فيكم"[1] ففي ضوء هذه الوصايا نميل الى الاعتقاد بان بطرس صاحب الايمان الكبير والكاريزما الولائية المعروفة تكفلته يد الغيب لينطلق بالانكار ليسلم ويواصل دوره الرسالي، ونعتقد ان العملية او الواقعة تلك لا تخرج عن دائرة الكاريزما "لكي تتواصل ديمومتها بشخص بطرس والاتباع الحواريين، الاخرين لانه من الواضح ان السيد المسيح كان يعول عليه بالذات الشئ الكثير هو والحواريين الاخرين.

وعلى الرغم من هذه المزايا الكاريزمية التي يمتلكها بطرس نجد ان الاضواء لم تسلط عليه بما فيه الكفاية، اذ بدء مؤمن جديد من الجيل الثاني الذي لم يرى السيد المسيح ياخذ مكانة كبيرة في قلوب الناس وفي عقول كتاب العهد الجديد وهو ((شأول). بولس) الذي يمجده العهد الجديد، ويرجع اليه الفضل في تنظيم الكنيسة وعلى كل الاصعدة والشئ اللافت للانتباه هو قضية تمؤسس الكاريزما وتحولها الى تنظيم ديني كنسي، وهذا ما نلمسه من حديث الرسول بولس، اذ يقول مخاطبا بعض المؤمنين فانتم جسد المسيح، وكل واحد منكم عضو منهن والله اقام في الكنيسة الرسل اولا والانبياء ثانيا والمعلمين الذين يلقنون المؤمنين مبادئ الايمان ثالثا ثم منح اخرين القدرة على صنع المعجزات ومواهب الشفاء والاسعاف وحسن الادارة والتكلم بلغات متنوعة[2]،وعلى العموم هنالك نصوص كثيرة ومتنوعة توضح دور الرسول بولس في ارسال دعائم الكنيسة في اماكن متعددة من العالم.

ولعل قضية العالم الاقتصادي هي التي دفعت الرسل فيما بعد الى الميل الى تمؤسس الكاريزما " وتبعاتها الرسالية، وذلك لان القديسين والرسل كانوا بحاجة الى مركز ينطلقون منه في تادية نشر الرسالة وهذا يعني الحاجة الى دعم مالي مستمر والذي كان يصل الى الكنائس هو عبارة عن الصدقات والهبات والتبرعات[3]، فضلا عن ان الرسالة المسيحية قد حققت انتصارات كثيرة ومتعددة، فكانت بحاجة الى استبدال طراز حياة الرسل والقديسين والاتباع الاخرون من حياة التنقل والترحال الدائم، واجراء العبادات والطقوس في بيوت بعض المؤمنين الى طراز جديد يعتمد على مراكز دينية مختصة للعبادة وحياة الرسل فلقد انتهى الشكل الاولي- الديني لحياة القائد الكاريزما واتباعه- برحيل السيد المسيح والذي كان عبارة عن حياة حرة ذات ترحال دائم وتعتمد على ما يهبه القائد الكاريزما للاتباعه في البضائع الممنوحة او العطايا التي يمنحها لهم دون محاسبة او تكلف، ليدخلوا في حياة الكنيسة التي تعتمد على الرواتب المحددة او العطايا التي تمنح بموجب تسلسل كنسي مذهل مرتبي النزعة[4].

والكاريزما اصبحت وفق هذا الاطار الكنسي يتم اكتسابها عن طريق التدريب والتاهيل والاختبارات الدينية العالية، واصبح هنالك مصطلح "القديس" أي المتولد في ظل "الكاريزما الكنسية بدلا من مصطلح الرسول الذي يرمز به الى حواري السيد المسيح واتباعه الاوائل او الجيل الثاني ومن ضمنهم كان "بولس وغيره" وذلك بعد وفاة جميع الرسل، ولكن من الواضح ان هنالك كان

(١) العهد الجديد، انجيل متي،١٠.

(٢) العهد الجديد، رسالة كورنثيوس الاولى، ٢،٣.

(3) Reinhard Bendix, Ibid, PP. 316-317.

(4) Reinhard Bendix, Ibid, P.317.

يوجد بعض القديسين وفي حياة بعض الرسل "وكانوا يسمون الاخوة القديسين" ولكن باعداد قليلة جدا، وفي هذا الاطار هنالك رايا لفيبر مفاده: ان ما يعد قديسا كان يتم من خلال العملية الرسمية للتكريس "conoization" الا ان جذور المصطلح تمتد الى فكرة الشهداء في بداية المسيحية، حيث كان الاعتراف بالاستشهاد مسالة انية ومحلية، ومن اهم جوانب تاريخ القديسين المسيحيين هي انهم يمرون في تسلسل معكوس في الآني والمحلي الى النهائي والمركزي[١].

وأمعانا في تمؤسس الكاريزما، كان البابا زعيم الكنيسة الكاثوليكية في العالم وفي عهد الاسكندر الثالث، هو المسؤول عن تحديد من يستحق لقب "قديس"، فضلا عن كونه هو المسؤول عن تحديد المراسيم او الممارسات الخاصة بذلك الاعتراف واليات عمله ومظاهره الكرزمية كالمعجزات ولعل اكثر الخطوات اهمية في عملية التعميد الرسمي للقديس هي ما تم في عهد البابا بندكت الرباع عشر (١٦٧٥-١٧٥٨) والذي كتب مقالة بعنوان:

"Ie servoim der beau Heation et beatorum canonizations bolgna"

ان هذه المقالة كانت من جوانب عديدة تلخيصا واعترافا بالمراسيم او الممارسات الراهنة، ولكنها كانت ايضا تاكيدا او تقريرا رسميا للاراء "العلمية" انذاك حول الاحداث المعجزة والخارقة عن العادة، ان اهمية البابا بندكيت في تطوير نظام رسمي الزامي للتمجيد تكمن في محاولته للتقليل من اهمية الاثار المقدسة والمعجزات والقوى الفوق بشرية في تعريف القدسية، وعليه لقد كان بندكت هو الذي بلور معايير الصلاح البطولي "Heroic virtue"[٢].

وهكذا وبشكل عام نجد ان الكاريزما اصبحت في قبضة المؤسسة "الكنيسة" بعد ما كانت مشاعا للصالحين من اتباع السيد المسيح، واصبح أي مدعا انه قديس ويمتلك المعجزات او خوارق كدلائل وبراهين على صدق قدسيته لا قيمة لها اذا لم تعترف بها المؤسسة "الكنيسة" وهذا يمثل بحد ذاته نهاية للكاريزما التي تناثرت على الاتباع والاوائل وعلى الصالحين، الذين اتبعوا التعاليم المسيحية بشغف شديد وايمانا عميق، لتصبح في نهاية الامر تخضع للشرعنة الكنسية وما تبعها من شروط للاعتراف وهذا كله يعود الى ذوبان سلطة الكنيسة في سلطة الدولة بعد ما اعترف قسطنطين بالمسيحية كدين رسمي للدولة البيزنطينية عام (٣١٣)، والذي عمد بعد ذلك الى التدخل في جوهر العقيدة المسيحية، هذا التدخل الذي بلغ ذروته في عام (٣٢٥) عندما عقد في مجمع "نيقية" مؤتمرا حضره نحو (٣١٨) اسقفا، جاءوا من جميع انحاء الامبراطورية وجاء مندوبون عن اسقف روما، فحمل هؤلاء الاساقفة على قبول الصيغة المعروفة "homo ousin" والتي تعتبر المسيح مساويا للاب في الجوهر، فهو اله من آله، ونور من نور، واله حق من اله حق، ومولود غير مخلوق، واعلن قسطنطين، انه من لا يقبل هذا المذهب الجديد ينبغي نفيه[٣].

فلقد اصبح هنالك تداخل بين ما تأمر به الكنيسة وما تقره وبين ما يريده الساسة منها في الخفاء والعلانية، فلهذا حاولت الكنيسة الحد من عدد القديسين من جهة وتحديد نشاطاتهم في ضوء تشريعاتها الدينية، وذلك لكي تصبح هنالك سلطة دينية واحد فقط وليس سلطات متعددة، فمن المعروف عبر التاريخ ان صاحب المعجزات وخوارق العادات يملك قوة التاثير في النفوس وتقديس تعاليمه واوامره فلهذا تخشى الكنيسة منهم بخشية الدولة، ولعل ابرز واوضح مثال على عمق خشية الكنيسة والدولة منهم تتمثل في دعوتها في بعض الحالات الى الاقتصار على القديسين وحالات القداسة لأشخاص ميتين فحسب[٤]؛ ودون السماح للاحياء باعلان بلوغهم مرتبة "القديس" "Saint"

(١) براين تيرنر، علم الاجتماع والاسلام، دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر، مصدر سابق، ص٨٨.

(٢) براين تيرنر، مصدر سابق، ص٩٠.

(٣) د. السيد الباز العريني، مصدر سابق، ص٧٣-٧٤-٧٥.

(٤) براين تيرنر، مصدر سابق، ص٩٢.

وهكذا تتلاشى الكاريزما بالنسبة للمسيحيين ضمن جدران الكنيسة ولا يسمح لها بالخروج الى الملا، الا باعترافا كنسي محدد بالمصالح وبالتوجيهات ذات النزاعات العلمانية على الاغلب.

المصادر

المصادر العربية:

- القران الكريم.
١. ابراهيم، العميد محمد عبد الفتاح، الثقافات الفريقية، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٥.
٢. ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل، لسان العرب المحيط، طبع دار لسان العرب، بيروت، د.ت.
٣. بادي، براتران، بياربيرنوم، سوسيولوجيا الدولة، ت:جورج ابي صالح، مركز الانماء القومي، د.ت.
٤. بلاثيوس، آسين، ابن عربي حياته ومذهبه، ت: د. عبد الرحمن بدوي،مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٥.
٥. تيرنر، براين، علم الاجتماع والاسلام، دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر،ت: د. ابو احمد باقادر، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٧.
٦. الجبوري، د. نظلة احمد، خصائص التجربة الصوفية في الاسلام، دراسة ونقد، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١.
٧. الجرجاني، ابو الحسن علي بن محمد بن على، التعريفات، طبع دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٦.
٨. الجوهري، د. عبد الهادي، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩.
٩. الحكيم، د. سعاد، المعجم الصوفي، الناشر دندرة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨١.
١٠. سايمنتن، دين كيث، العبقرية والأبداع والقيادة، ت: شاكر عبدالحميد، عالم المعرفة، ع١٧٦، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، ١٩٩٣.
١١. الطاهر، د. عبد الجليل، مسيرة المجتمع، بحث في نظرية التقدم الاجتماعي، الناشر المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط١، ١٩٦٦.
١٢. عبد الخالق، د.نيفين، قيادة الرسول وخلافته والانماط المثالية للسلطة لماكس فيبر، دراسة مقارنة، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد١٤، العدد٤ شتاء ١٩٨٦، الكويت.
١٣. العريني، د. السيد الباز، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة المصرية للطباعة، ط١، ١٩٨٦.
١٤. فروند، جوليان، سوسيولوجيا ماكس فيبر، مركز الانماء القومي، بيروت، د. ت.
١٥. كارلايل، توماس، الابطال، ت: محمد السباعي، طبع دار الرائد العربي، بيروت، ط٤، ١٩٨٤.
١٦. الكتاب المقدس.
١٧. الكعبي، د. حاتم، السلوك الجمعي، طبع جامعة بغداد، د. ت.
١٨. مدكور، د. ابراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.
١٩. الهواري، د. عادل المختار، الاصول الاجتماعية التاريخية للظاهرة الدينية، نموذج المسيحية في اوربا، ورقة عمل قدمت الى ندوة : الدين في المجتمع العربي، نشر مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،١٩٩٠.
٢٠. هيغل، ج.ف.ف، محاضرات في فلسفة التاريخ، الجزء الاول، العقل في التايخ، ت: د. امام عبد الفتاح امام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

المصادر الاجنبية:

21. Adictionary of the social sciences, by: Julius could, William, L. kolb, copright by the united Nations Eductional, 1964.

22. Bendix Reinhard, Max weber, an intellectual poitriait, London, 1962.
23. The Encyclopedia of religion, mircea eliade, editor in chief, volume 3, macmill An pups, copyright, 1987.
24. Weber, max, economic and society, University of california, press, Ltd, London , 1978.
25. Weber, Max, The sociology of religion, translated by ephraim fischoff, introduction by tolocott parsons, printers utd,London, 1965.
26. Wester marck, Edward Al exander, Ritual and Beliefin Morocco, new york , 1968, volume, l.
27. World Book, Encyclopedia, copyigut, 1962, volume12.